الأميركيين كما على الثقافة الليبرالية وعلى السكان عامة.. ثالثا ، الغياب الكلي تقريبا لأي موقع ثقافي يجعل من الممكن اما التماثل مع العرب أو الاسلام أو بحثهما بتجرد عن الهوى. وعلاوة على ذلك ، فمن نافل القول انه لكون الشرق الأوسط حاليا يتلازم مع سياسات الدول الكبرى واقتصاديات البترول ، ومع الانقسام الثنائي الساذج إلى اسرائيل الديمقراطية والمحبة للحرية والعرب الاشرار والتوتاليتاريين والارهابيين ، فان الفرص والمجالات المفتوحة أمام قيام ما يشبه النظرة الواضحة إلى ما يتحدث عنه المرء عندما يتحدث عن الشرق الأدنى هي ضئيلة الى درجة تبعث الكآبة في النفس .

إن تجاربي الخاصة لهذه المسائل هي التي دفعتني جزئيا إلى كتابة هذه الدراسة . وحياة العربي الفلسطيني في الغرب ، ولا سيما في أميركا ، هي مثبطة للهمة. يوجد هنا اجماع تام تقريبا على ان هذا الشخص لا وجود له سياسيا ، وعندما يجري التسليم بوجوده ، فاما كمصدر ازعاج أو بوصفه شرقيا . فالشبكة المنسوجة من العرقية والقوالب الثقافية الجامدة ، والامبريالية السياسية ، والايديولوجية المجردة من الصفات الانسانية ، والتي تطبق على العربي أو المسلم هي شبكة قوية ومتينة للغاية ، وهي بالذات ما تسنى لكل انسان فلسطيني ان يشعر به على أنه يؤلف مصيره الاقتصاصي الفريد من نوعه . ومما جعل الأمور تبدو أسوأ بالنسبة اليه عندما لاحظ بأنه ما من شخص ينهمك اكاديميا بدراسة الشرق الأدنى ــ أي ، ما من مستشرق ــ قد سبق له أبدا في الولايات المتحدة الأميركية ان وضع نفسه ثقافيا وسياسيا بجانب العرب من صميم قلبه . من المؤكد انه كانت هناك مماثلات أو مطابقات عاطفية على مستوى من المستويات ، لكنها لم تأخذ أبدا شكلا مقبولا مثلما أخذته المطابقة الأميركية الليبرالية مع الصهيونية ، وفي كثير من الأحيان كان يعتريها خلل جذري من جراء ارتباطها اما مع المصالح السياسية والاقتصادية المخزية (مثلا ، مستعربو شركات النفط أو نظارة الخارجية الاميركية) أو مع الدين .

لذا فان الشبكة المعقدة من المعرفة والقوة التي تخلق « الشرقي » وتطمس معالمه بوصفه كائنا بشريا ليست بالنسبة لي شأنا اكاديميا على وجه الحصر . ومع ذلك فهي شأن فكري ينطوي على شيء من الأهمية الواضحة . لقد استطعت ان استخدم اهتماماتي الانسانية والسياسية في وصف وتحليل مسألة دنيوية للغاية ، ألا وهي نشوء الاستشراق وتطوره وتوطيد دعائمه . وفي اغلب الأحيان ينشأ الافتراض بأن الأدب والثقافة هما بريئان سياسيا ، وحتى تاريخيا . لكن الأمر قد بدا لي خلاف ذلك بصورة منتظمة ، ومما لا شك فيه أن دراستي للاستشراق قد أقنعتني (ولي أمل في انها سوف تقنع زملائي في حقل دراسة الأدب والنقد الأدبي) بأن المجتمع والثقافة الأدبية لا يمكن فهمهما ودراستهما إلا سوية . اضافة الى ذلك ، وبفعل منطق لا مفر منه تقريبا ، لقد وجدت نفسي اكتب تاريخ مشارك سري وغريب الأطوار في العداء الغربي للسامية ، لذلك ان العداء للسامية والاستشراق كما بحثته في فرعه الاسلامي ، يشبه الواحد منهما الآخر أقرب الشبه . وهذه حقيقة تاريخية وثقافية وسياسية ما علينا إلا أن نذكرها أمام العربي الفلسطيني للسخرية التي تنطوي عليها وحتى يصار الى فهمها فهما كاملا ، لكن الشيء الذي يطيب لي ايضا ان أكون قد أسهمت به هنا ، تحقيق فهم أفضل للاسلوب الذي عملت به السيطرة الثقافية . واذا كان هذا الأمر منبها الى نوع جديد من التعامل